

بسم الله الرحمن الرحيم

وحي الألم

المقالة الأولى

هذا مقالات أكتبها لكم أيها القراء الكرام في فترة مرض ألمّ بي سميتها "وحي الألم"، فإن كان للقلم وحي وإشارة كما جرى لشيخنا الراجعي رحمه الله تعالى عندما أطلق على مجموع مقالاته "وحي القلم"، فإنّ للألام لساناً مُبيناً ينطقُ كذلك، وإلا فمن أين تعلم أهلُ الآه أهايتهم؟،

وكيف تعلم أهلُ الأنين أنينهم وحينئهم، أليس من لغة الألام؟

بلى. ألم يقل قائلهم ([١]):

أَنْ شَوْقاً وَلِلْمَحِبِّ أَنْيُنْ ... حِينَ فَاضَتْ عَلَى الْخُدُودِ الْجَفُونُ

أَهْ مِنْ زَفْرَةٍ يُنْشِئُهَا الشَّوْ ... قُ وَدَاءٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ دَفِينُ

وقال الآخر:

ذَبْتُ اشْتِيَاقاً وَوَجِداً فِي مَحَبَّتِكُمْ ... فَأَهْ مِنْ طُولِ شَوْقِي أَهْ مِنْ كَمَدِي

كفانا الله وإياكم شرّ الألام وأنينها وأهايتها.

كيف أنطقي الألم؟

لما بَرَّحَ بي المرض، وطلب مني الأطباء أن لا أتكلّم أبداً، بل وطلب مني طبيب أن لا أحدث نفسي بنجوى، ولا أبوح لها بشكوى، فأخسرَ لساني عن حديث نفسي فضلاً عن حديث غيرها، وحاولتُ أن أتعلّم كيف يتحول الإنسانُ إلى صخرة صماء، فلم أستطع، عندها انتزعتُ سينائي، وهو قلبي ليكونَ نصفي الآخر:

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ      فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالذَّمِّ

هذا اليراع هو ما أعددته لتلك الحوالك يضيئها بسوادِ جبره، ويسدّد القول بانحناءِ يرّاعته، وتذكرتُ قولَ عبد القيس بن خفاف البرجمي ([٢]):

وأصبحتُ أعددتُ للنائبِ ... تِ عَرَضاً بَرِيئاً وَعَضْباً صَقِيلاً

ووقع لسان كحدّ السّنان ... ورُمحاً طويلَ القنّاةِ عسولاً

فكتبت هذه الخواطر من "وحي الألم".

-----  
([١]) أنّ في هذا البيت ليست الناسخة المشبهة بالفعل، بل من أنّ الرجلُ من الوجع يئنُّ أنيناً. قال ذو الرمة:

تشكو الخشاشَ ومجرى النَّسْعَتَيْنِ كما ... أنّ المريضُ إلى عُوّاده الوَصِبُ. لسان العرب مادة "أنن".

([٢]) الرّمحُ العسولُ الذي لَانَ واشتَدَّ اهتزازُهُ. القاموس المحيط مادة "عسل".